اللغة العربية والهوية من خلال البرامج التلفزيونية الموجهة للأطفال (مدخل نظري ودراسة ميدانية)

د. فايد محمد
المركز الجامعي - تيسمسيلت
الجزائر

الملخص

إن جملة التحولات التي عرفتها المجتمعات العربية طيلة ستين سنة الماضية (١٩٥٠-٢٠١٠)، في مختلف المجالات (السياسية والثقافية والاجتماعية)، كان لها أثر كبيرُ على معيش الأُسرة العربية، فكان أن تغيَّرت وسائل تثقيف الطفل وتعليمه. لقد انتقلت تلك الأسرة من التعامل مع المدرسة القرآنية (الكُتّاب)، ووسائل التعليم التقليدية والقصص المصورة وغيرها من الطرائق، إلى وضع مغاير تماما، خاصة مع تطوُّر وسائل الاتصال (الشابكة، مواقع التواصل الاجتماعي، الأجيال المختلفة من الهاتف النقال، القنوات الفضائية...).

صعّبت هذه الوسائل مجتمعة من تعامل الأسر العربية مع الطفل، حيث أضحى من الضروري بحث الآليات التي من شأنها رفع المستوى العلمي والثقافي للطفل دون المساس بهويته العربية، ولأن الوصول إلى نتيجة كهذه يفرض عناية خاصة بتلقي الطفل للمعلومة باللغة العربية وباقي لغات العالم، بات من المهم جدا إيلاء اهتمام أكثر بالمادة المقدمة للطفل.

تهدف هذه المداخلة أساساً إلى تسليط الضوء على تعامل القنوات الفضائية الموجهة لأطفال العالم العربي مع اللغة العربية في علائقها بالهوية، كون المجتمع العربي بعامة والطفل العربي بخاصة يتنازل تدريجيا - وبصورة مخيفة - عن القراءة لصالح التلفزيون، هذا الأخير الذي يصعب على الأسرة التحكم في المادة التي يُقدِّمها، فالبث عبر الأقمار الاصطناعية يجعل تلك المادة متاحة للجميع وفي كلّ وقت وعبر أكثر من رافد (موقع انترنيت، هاتف ذكي، تلفزيون...).

١ - مدخل نظري (لغة الطفل من الاكتساب إلى التعلّم):

هل أخطأ من قال "إن ثقافة الطفل العربي في محنة حقيقية" (الدويبي، ٢٠٠١: ١١٤).

إننا نعتقد بصحة قوله، فالأمة العربية تعيش محناً لا محنة واحدة، وفي كل المجالات التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وعليه فإن انعكاس هذه المحن على الطفل العربي أمر لا محالة واقع، خاصة وأن الطفل يظلُّ أكثر حلقات المجتمع هشاشة.

والحديث عن ثقافة الطفل وعن ضرورة صيانتها والحفاظ عليها، حديث مؤسس وضروري، لأن "الطفل يولد مرتين، إحداهما ولادة بيولوجية، والثانية ولادة ثقافية، حيث تبدأ هذه الأخيرة بالتكوّن مع بدء امتصاص الطفل من المجتمع، للغة والأفكار والعادات وأنماط السلوك الأخرى، مما يُشكِّل ثقافة الأطفال التي تمثل هذا الكيان من تلك العناصر التي يشترك فيها الطفل مع مجمل الأطفال الآخرين من المجموعة أو الجماعة أو المجتمع" (الهيتي، ٢٠٠٢: ١٥٠)، فإذا تدخَّلت أطراف أخرى في هذه الولادة الثانية، لم تكن سوية، وينتج عن ذلك طفل مشوَّه ثقافياً، وما أكثر نماذج الولادة الثقافية المشوهة في مجتمعنا العربي، إن لم نقل في مجتمعاتنا العربية، بفعل تزايد عوامل الفرقة، في مشهد يؤرِّخ باستمرار لاضمحلال عناصر الوحدة الثقافية.

وعليه يجب الدعوة باستمرار إلى تحصين الطفل العربي وصون ثقافته، ولعل أهم مظاهر تلك الثقافة/اللغة العربية، لأنها "ثقافته، ونقصد بالثقافة ما يسود المجتمع من أنظمة العقائد والعادات والتقاليد والأفعال، وردود الأفعال والذي لا شك فيه أنّ اللغة هي المُعَبِّر الأهم عن ثقافة المجتمع، بل ذهب بعضهم إلى أنَّ اللغة هي الثقافة، والثقافة هي اللغة" (الراجحي، دت: ٢٤)، ويترتّب عن ذلك أنّ أي مجتمع لحظة تلقين المنتمين إليه لغتهم فهو بذلك يلقّنهم ثقافتهم بل هويّتهم، فاللغة من أبرز ركائز المجتمعات، واستنادا إلى ما سبق يكون تلقين هذه اللغة لغير أبناء المجتمع هادفا لنقل خصوصيات المجتمع الناطق بها إلى مجتمع أو مجتمعات أخرى.

ولأن لغة الطفل ثقافته وهويته أيضاً فهي "لبنات أساسية لتكوّن الطفل" (طبجون، ٢٠٠٦: ٩). وصقل حاضره ومستقبله، والأكيد أنّ الأمم تُسجِّل منذ

القديم وجود "فروق واضحة بين مذاهب التربية وذلك تبعا للمعتقدات والمذاهب الإيديولوجية" (الخطيب، ١٩٨٣: ١٠١)، وعليه فإنّه من المنطقي لدى كلّ أمّة أن تهتمّ بتوطيد العلاقة بين أبنائها وثقافتهم (لغتهم) ويأتي بعد ذلك إطلاعهم على ثقافات ولغات الأمم الأخرى.

إنّ الطفل العربي "لا بُدَّ أن يتلقى ثقافة عربية إسلامية لأن ذلك أصل، ثم بعد ذلك وفي المنزلة الثانية التعرّف على الثقافات الأجنبية، فيتمَّ أخذُ ما يُفيد وترك ما يتنافى مع العقيدة والدين والقيم المثلى للمجتمع" (مناد، ٢٠٠٦: ٨٧)، فإن تحقق هذا، تحقق للمجتمع حضوره بين المجتمعات الأخرى، نقصد حضور الند لا حضور التابع.

- لغة الطفل من الاكتساب إلى التعلّم:

يرتبط اكتساب اللّغة بمرحلة الطفولة "فالطفل هو الذي يكتسب اللغة، وهو يكتسبها في زمن قصير جداً، ويتشابه الأطفال في كلّ اللغات في طريقة اكتسابهم للغة، مما يدلّ على وجود هذه الفطرة الإنسانية المشتركة، أو هذا الجهاز اللغوي العام، والطفل يكتسب اللغة التي يتعرّض لها، وهو بطبيعة الحال تَعَرُّضٌ غير منظّم، ومهما يحاول الكبار من تبسيط للغة أمام الطفل فإنّ ذلك لا يمكن أن يكون وفق تخطيط" (الراجحي، دت: ٢١)، نظراً لتعدّد المشارب التي يستقي منها الطفل لغته.

وإذا كان الطفل يكتسب اللغة التي يتعرَّض لها، وإذا كانت اللغة هي الثقافة، فما الثقافة التي يكتسبها الطفل العربي؟ وهو يتعرَّض لخليط غير متجانس من الأداءات اللغوية التي تتنوَّع بين فصيح وعامي، والأمرُّ من ذلك أن الفصيح من تلك الأداءات يقدَّم من خلال برامج مدبلجة تعكس ثقافات غربية أحياناً، وبرامج عامية مبتذلة تعكس معيشاً محلياً، في حين يتعرَّض لبرامج أخرى تسندها مذاهب دينية غير تلك التي تتبناها أسرته، وإنّه لمن الخطير أن تظلَّ تلك الأسرة غافلة عن ذلك مادام همُّها الأساس التخلّص من ثقل التنشئة،

وبالطبع لابد من إعمال الاستثناء هنا، غير أنّه يظل استثناء تختص به فئة قليلة من الأُسر.

يحدث اكتساب الطفل اللغة في مراحل مبكِّرة من طفولته أي أنّه منوط "بمراحل ما قبل استغلال الوعي في معرفة اللغة، أي تلك المرحلة التي يراقب الطفل وهو يكتشف سلوكياً هذه الأداة العجيبة التي هي اللغة الأم، بطريقة تلقائية دون تدخُّل الوعي أو إرغامه على معرفة تلك القواعد، أمّا التعلُّم فإنّنا نقصره على مراحل التعليم النظامي الذي يخضع فيه الطفل إلى محدّدات توجيهية واعية، يشعر في أثنائها أنّه مُوجّه قصداً إلى تحصيل نوع محدَّد من المعرفة اللغوية" (خديش، ٢٠١٢: ١١)؛ أي أنّ الاكتساب تلقائي بينما يخضع التعلّم للتخطيط، غير أن تغيُّر معايير التنشئة الأسرية يدفعنا أحياناً إلى القول إن وسائل أخرى مثل التلفزيون، قد تُفقِد الاكتساب تلقائيته.

تتحدّث دراسات كثيرة عن علاقة وطيدة بين الاكتساب اللغوي ونمو الطفل، لأن نموه ينتج عنه اتساع مداركه، وقدرته على تمييز الأشياء والربط بينها وبين ما يُصطلح عليها، ولأجل ذلك "تُعدُّ مرحلة ما قبل المدرسة، من أحرج مراحل النمو وأهمها فهي بالغة التأثير في مستقبل الطفل، لأن سلوك الطفل في سنواته الأولى هو أساس سلوكياته في المستقبل" (سالمين، ٢٠٠٢: ١٩٥)، وفي هذه المرحلة ينمو تعامل الطفل مع اللغة أو يُفترض ذلك، ومن مظاهر ذلك النمو مثلا، أنّ الطفل في عمر ثلاث سنوات يزداد رصيده اللغوي ويتمرّن على قواعد لغوية مثل المفرد والجمع، وبعد ذلك بسنة يستطيع نوعاً ما تبادل الحديث مع الكبار ويصف الصور، أما في سن الخامسة فيستطيع في الحالات العادية تشكيل جمل كاملة (سالمين، ٢٠٠٢: ٢٠٢).

أمّا إذا تركت الأسرة الطفل في هذه المرحلة للتلفزيون، فيسمع عامية خليجية تارة، وعامية سورية تارة أخرى أو مصرية، ناهيك عن عامية القطر الذي ينتمي إليه... فإننا نعتقد أن نتيجة ذلك أكيدة وهي حرمان الطفل من رصيد لغوي فصيح كان سينجيه من الفروق الكبيرة بين لغة المحيط العائلي ولغة المدرسة.

وتلعب وسائل الاتصال الحديثة دوراً مهماً "في تنمية المحصول اللغوي عامة، إذا كانت النية صادقة في سبيل تحقيق ذلك" (مناد، ٢٠٠٦: ٨٣)، ولكن مثل هذه النية لن تتحقّق مادام الإنتاج العربي الموجَّه للطفل ضئيلاً، ولكن وسائل الاتصال تلك تحتفظ بأهميتها لأنها تتوافر على "أفضل طريقة لتعليم اللغة وأيسرها وأقربها إلى مسايرة للطبيعة، وهي خلق بيئة سماعية تُنطق فيها العربية الفصيحة بمفرداتها وتراكيبها وعباراتها الثرية" (زرادي، ٢٠٠٦: ١٢٤)، والتلفزيون - لأنه من أهم تلك الوسائل - باستطاعته خلق هذه البيئة، بل بإمكانه إضافة الصور والألوان والحركة، ما يجعل الطفل منسجماً مع البرامج، فلو أنه تَحَرَّرَ من إيديولوجيات مصادر تمويله لخدم اللغة العربية وفق أحسن صورة ولرسَّخ الهوية العربية الإسلامية أيّما ترسيخ.

أضحى تأثير وسائل الإعلام في اللغة "أمراً بيِّناً لكون اللغة الوعاء الإعلامي، وأداة التواصل الأقوى في العملية الإعلامية" (زرادي، ٢٠٠٦: ١١٧)، وهو إذ يؤثر على اللغة يؤثّر على الثقافة ومنظومة القيم، ويتجلى تأثير وسائل الإعلام على اللغة من حيث قدرتها على خلق عوامل اكتساب الملكة اللغوية وهي (السماع والحفظ والتكرار)، "إننا حينما ننظر إلى وسائل الإعلام الحديثة بمختلف أشكالها نرى أنها تستوعب طرائق اكتساب اللغة.. فهي تقوم بدور العامل المشترك" (زرادي، ٢٠٠٦: ١١٦)، الجامع بين السماع والحفظ والتكرار ناهيك عن تميُّز بعضها بالصورة، بكل ما لها من سلطة توجيهية وثقل.

- موقع وسائل الإعلام من الاكتساب اللغوي:

جليٌّ أنّ "الإعلام كما يستخدم اللغة ويتأثر بها، فإنّه يؤثر إيجاباً وسلباً فيها لا محالة، فإنّ هو أسهم في تنمية ملَكَتِها وتطوير استعمالها لدى المتلقي كان تأثيره إيجابيا، وإلّا انعكست الآية إن هو رماها بالسقم واللكنة والميوعة وشوهها بالعي والرطانة" (زرادي، ٢٠٠٦: ١١٦)، وفي ضوء واقع اللغة في أغلب وسائل الإعلام خاصة المرئية، فإننا لا نتهيّب اتهامها باختراق اللغة، لأنها تؤدي بالطفل على وجه الخصوص إلى حفظ العاميات المحلية والتراكيب الغريبة

المفككة، وليس غريبا على من يتابع تلك الوسائل صحة هذا الطرح كونه صار معيشاً مُرَّاً نتعايش معه بل ونتأثر به.

وكي لا نظلم وسائل الإعلام لا بُدَّ من القول "إنّ مسؤولية تدني مستوى اللغة العربية يتقاسمها الجميع، الأفراد والمؤسسات الرسمية في شموليتها، سواء أكانت تعليمية أم إعلامية أم سياسية" (منقور، ٢٠٠٦: ٨١)، وليس معنى ذلك إعفاء الأسرة من تلك المسؤولية بل لعلّ الجزء الأكبر منها يقع عليها.

إنَّ حديثنا عن الاكتساب اللغوي في المحطة الأولى من هذا البحث، هدفه الأساس التذكير بأنّ هذا الاكتساب إن تمَّ بأحسن صورة كانت النتيجة جيّدة بالنسبة لعلاقة الطفل العربي بلغته التي هي هويته وماضيه وحاضره ومستقبله، ولكن ذلك الاكتساب لم يعد يحدث في حدود المحيط العائلي التقليدي بسبب دخول طرف آخر أصبح يزاحم الأسرة العربية في التنشئة حتى يظهر للبعض أنّ الأسرة تنازلت له عن التنشئة نهائياً، لولا حرص قطاع من المنتمين إليها على ضبط المسألة، وفي المحطة الثانية سنحاول رصد العلاقة بين الطفل ووسائل الإعلام.

٢ - تمظهرات العلاقة بين الطفل ووسائل الإعلام:

لا تبدو العلاقة بين الطفل ووسائل الإعلام محمودة لا في واقعها ولا في المأمول منها، نقول ذلك استناداً إلى الوضع العربي المأزوم، وهو وضع يجعل المتتبِّع ينفر يوميا من تلك العلاقة ولا يتفاءل البتّة في رسم أمل ما، من أن تكون تلك الوسائل رافدا من شأنه إغناء الثقافة العربية وترسيخ الهوية والانتماء لدى الناشئة، ذلك أنّ أغلب القنوات لا خطط مستقبلية لديها لتحقيق ذلك، فجلّها تحكمه ثنائية الربح وترسيخ قيم مصادر التمويل، بالإضافة إلى غياب الإرادة الجماعية في توجيه وسائل الإعلام - الموجهة للطفل على الأقل - للحفاظ على ثقافته وهويته ووجوده، ولكن كلّ ذلك لا ينفي أصالة بعض المحاولات في بعض الأقطار العربية، وهي محاولات تستحق التشجيع، ويفترض بنا الدعوة إلى استمرارها وذلك أضعف الإيمان.

- التنشئة الجمالية للطفل.. من الأسرة إلى وسائل الإعلام:

يؤمن كلّ مجتمع مفكّر أنّ الطفل سبيل رقيه فهو رجل المستقبل، ولأجل ذلك يفترض أن يسعى هذا المجتمع إلى توفير الشروط الملائمة لتحقيق ذلك من خلال تربيته وتعليمه و"تدخل تربية الطفل عقلياً ووجدانياً وجمالياً ضمن احتياجاته الثقافية الأولى" (ريان، ٢٠٠١: ١٨٢)، ولا يمكن أبدا أن تخرج تلك التربية عن الأطر العامة التي تنتظم فيها ثقافة المجتمع وإحداثيات هويته في علائقها بالإرث الحضاري العام لأمته وهو الإرث الذي ينبغي أن يُجعل نبراساً يضيء حاضر الطفل ومستقبله.

وإذا كانت تربية الطفل منوطة بمصادر رئيسة "هي: الأسرة والمدرسة ووسيلة الاتصال، فلا بد أن تشارك هذه المصادر في التربية الجمالية للطفل" (ريان، ٢٠٠١: ١٨)، وهذا هو المأمول منها، غير أنّ حصوله غير مرجو في كلّ الحالات، لاعتبارات يصنعها معيش كلّ مجتمع بطرائق مختلفة، أهمها الوضع السياسي والإرث التاريخي والتركيبة الاجتماعية، ناهيك عن الحالة الاقتصادية، والأهمّ من ذلك وعي كل مجتمع بقيمة الإنسان/ الفرد في علائقه بصنوه والجماعة.

إنّ تربية الطفل ينبغي أن ترتكز على إرضاعه هويته وهذه الأخيرة "معطى تاريخي وحضاري يتم بناؤه في إطار استلهام العناصر الإيجابية للتراث الحضاري والتقدّم الإنساني والتي من شأنها إعطاء الطفل شخصية أصيلة، وتُعتبر الأسرة الخلية الأساسية لبلورة هذه العناصر وتشكيلها من خلال التنشئة الاجتماعية، غير أنّ التطوّر المهول الذي حصل في وسائل التكنولوجيا الإعلامية (التلفزيون) في وقتنا الحاضر، أثّر على مناشط الحياة الثقافية وأساليب التربية، داخل الأسرة والمجتمع، مما خلق قناتين للتربية والتنشئة الاجتماعية: قناة دمجية وتقوم بها المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة، وقناة تحريرية تقوم بها وسائط مستحدثة، على رأسها التلفزيون" (الغريب، ٢٠٠٢: ١٤٣)، ويفترض في القناتين تحقيق نصيب من التوافق في المادة المقدَّمة للطفل حتى لا

يقع في صراع ولاءات على حد تعبير هادي نعمان الهيتي، بسبب تعرُّضه لعوامل تأثير ثقافي مختلفة (الهيتي، ٢٠٠٢: ١٥٨).

يؤكِّد معيش الأسرة العربية أنّ أغلبها يتنازل تدريجياً وبصورة متفاوتة عن التنشئة لصالح مؤسسات أخرى مثل دور الحضانة والمدارس التحضيرية وجليسة الأطفال والمدارس النظامية بل إنّ "تربية الطفل لم تعد تقتصر على الأسرة أو المؤسسة التعليمية فقط، ولكن التكنولوجيا الحديثة وما أنجبته من أجهزة باهرة أصبح نصيبها في تربية الطفل هو النصيب الأوفر" (مدكور وآخرون، ١٩٧٥: ١٠٣) وفي أسرنا ما يغني عن محاولة تأكيد ذلك.

إنّ النتيجة الأكيدة واضحة "لقد عفا الزمان الذي كانت الأسرة وحدها تؤدي عملية غرس القيم في الناشئة، ولعلّ تعدّد مصادر التنشئة لدى الطفل اليوم من المدرسة والمسجد ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والشارع وما له من دور خطير، هو الذي أدَّى إلى مراجعة هذه الأطراف في محاولة لدراسة تأثيرها وإيجابياتها وسلبياتها" (طبجون، ٢٠٠٦: ١١)؛ وهي المراجعة التي تفرض نفسها اللحظة أكثر من أي وقت مضى بسبب اضطراد ظهور قنوات متخصصة في برامج الأطفال بمختلف الفئات العمرية.

- وسائل الإعلام واختراق المنظومة الثقافية للطفل:

إنّ وسائل الإعلام مهمّة لتثقيف الطفل وتنمية قدراته، فهي تمتلك من الأدوات والطرائق ما يفوق قدرات قنوات التنشئة التقليدية، ولكنها إلى ذلك - وفي أغلب الأحيان - تحيد عن هدفها المعلن فتخترق عالم الطفل وهويته وارتباطه بالأسرة والمجتمع، وقد بات من الواضح جداً أنّ دور المؤسسات الإعلامية لا يقل "عن دور المؤسسة التربوية في التنشئة الاجتماعية للطفل إلى جانب الأسرة أو المؤسسة العائلية، كما أن الوقت الذي يقضيه الطفل في تعامله مع وسائل الإعلام لا يقل قيمة عن الوقت الذي يقضيه في المدرسة" (عامر، ٢٠١٤: ٦٧)، بل إنّه يجد راحة أكبر وتحرراً شاملاً لحظة جلوسه إلى التلفاز فهذا الأخير لا يُلزمه بشيء ولا يكلّفه بإنجاز واجبات.

يقودنا معيش الأسرة العربية إلى القول إنّ "التلفزيون قد اخترق التماسك الأسري وغيَّر المنظومة التي تغترف دعائمها من الهوية الثقافية والقيم المجتمعية الجادة" (الغريب، ٢٠٠٢: ١٣٧)، هذه القيم تعيش اليوم غربة حقيقية في ظلّ تساهل الأولياء وسماحهم بأن يظلَّ الطفل جالساً أمام التلفزيون وشرطهم الوحيد أن لا يمس هذا الطفل سكينتهم في بحثهم الدؤوب عن لقمة العيش حينا، وعن رفاهية منشودة أحايين أخرى ما مكّن التلفزيون من أن "يمثل حالياً الأب الثالث أو الأب الروحي كما أطلق عليه الأمريكيون، فقد أثبتت الدراسات أنّ التلفزيون من أكثر وسائل التنشئة الاجتماعية خطورة لأن الطفل يقضي أمامه أكثر الساعات" (راشد، ٢٠٠٢: ٥٩) فتتلاشى العلائق الأسرية وتغيّب دعامات الهوية ويُشحن عقل الطفل وقلبه بأمور لا علاقة لها بثقافة مجتمعه وقيمه.

تتَّسع المساحة الزمنية التي يقضيها الأطفال أمام التلفزيون في أُسرنا، في حين "يقترح العديد من باحثي وسائل الإعلام وأطباء الأطفال أنّ المقدار الذي يُسمح به للأطفال لمشاهدة التلفزيون يجب أن يقتصر على ساعتين في اليوم، وأنّ على الوالدين مراقبة مشاهدة أطفالهم التلفزيون" (بيرغر، ٢٠٠٧/٢٠١٢: ١٨١، ١٨٢)، ونسجل مع كل أسف أنّ عديد الآباء والأمهات يجعلون التلفزيون بمثابة جليس أطفال، ولنا أن نستحضر هنا دعوة قناة عربية موجَّهة للأطفال إلى مثل هذا الأمر في الأغنية المبتذلة العامية التي تردِّدها الطفلة جنى مقداد في قناة طيور الجنة عندما تقول:

(ها البيبي يا جماعة.. حتى يكون متهني.. بس أعطوه الرضاعة.. وقناة طيور الجنة)

بعدما "كانت تربية الطفل وتنشئته على قيم مجتمعية من خلال قنوات حضارية واضحة ترسم له معالم حياته المستقبلية، وذلك بشكل متناسق مع الأعراف والمعايير الأخلاقية والدينية والاجتماعية والممارسات السلوكية التي كان الطفل يجد سهولة في استيعاب مضامينها ورموزها وتَمَثُّلِهَا دون عناء كبير"

(الغريب، ٢٠٠٢: ١٣٤) أصبح الطفل اليوم على خط المواجهة إذ أصبح مستهدفا أكثر من أي وقت مضى في هويته الثقافية والدينية بسبب الشطط الإعلامي الذي تَمَرَّدَ أو يكاد على كل سلطة رقابية، خاصة في ظل البث عبر الساتل، وعبر مواقع الانترنت والهواتف الذكية وشرائح التخزين، بل حتى عن طريق المنتجات الغذائية والمدرسية المعلن عنها عبر مختلف القنوات الموجَّهة إليه، بالإضافة إلى ما تحمله برامجها من مشاهد عنف وسلوكات شاذة.

إنّ وسائل الإعلام وعلى رأسها التلفزيون وإذا كانت "تؤلّف قوّة مهمّة وفعالة ومؤثّرة في المجتمع الحديث بفضل ما تقدّمه لنا من معلومات وما توفره من أسباب الترفيه، فإنها بذلك احتلّت مكان الوالدين والمدرسين في التربية ونقل المعلومات والمعرفة إلى الأفراد، وهكذا يمكن للتلفزيون أن يَبُثَّ ما يشاء من القيم العدوانية والاستهلاكية، وتحقير الذات والسلوكات الشاذة، التي لا تَمُتُّ لقيم المجتمع، دون مقاومة كبيرة من طرف الفاعلين التربويين والآباء داخل الأسرة بالأساس" (الغريب، ٢٠٠٢: ١٣٧)؛ بل لعلّ هؤلاء يصبحون بفعل ضغط العمل والظروف الاجتماعية أبرز أسباب ارتباط الأطفال بالتلفزيون.

من أبرز المشاكل الناتجة عن غياب توعية الأسر والأطفال على السواء بخطورة الإدمان على مشاهدة التلفزيون، اكتساب الأطفال السلوك العدواني الناتج أحيانا عن تقليد ما يشاهدونه على الشاشة، "إنّ المتتبِّع لبرامج التلفزيون يلاحظ بوضوح ارتفاع مشاهد العنف والجريمة والقتل بشكل ملفت للنظر فهذه المشاهد لم تعد تقتصر على الأفلام وبعض المسلسلات مثلما كانت في السابق، بل انتشرت لتشمل أيضاً برامج الأطفال" (الأمير، ٢٠٠١: ١٩٥/١٩٦)؛ خاصة في ظل ازدياد الحجم الساعي الذي ينفقه هؤلاء في الجلوس أمام التلفزيون، وهو حجم قد يساوي لدى البعض حجم الساعات الدراسية، وقد يزيد أيام العطل.

ورد في دراسة لآرثر آسا بيرغر الموسومة بـ(وسائل الإعلام والمجتمع) ما يلي "ببلوغ سن الثامن عشرة يكون الطفل الأمريكي العادي قد شاهد ١٦ ألف جريمة قتل، ونحو ٢٠٠ ألف مشهد من مشاهد العنف على شاشة التلفزيون"

(بيرغر، ٢٠٠٧/٢٠١٢: ١٨١) فكم تراه عدد الجرائم التي شاهدها الطفل العربي؟ ناهيك عن اختراق لغته وهويته والروابط الأسرية حتى في البرامج المخصَّصة له، وللأسف عبر قنوات عربية جلّ برامجها أنتجت في بيئة غير بيئة الطفل العربي، والعنف في وسائل الإعلام يؤذي خصوصا "الأطفال صغار السن (تحت الثامنة) لأنهم لا يستطيعون بسهولة التفريق بين الحياة الواقعية والخيال" (بيرغر، ٢٠٠٧/٢٠١٢: ١٨١) ولا يخفى عنا جميع عنف برامج الأطفال فأفلام الكرتون الآتية (البوكيمون) (ناروتو) (المحقق كونان) (دراغون بول) (توم وجيري) (أبطال الديجيتال) (المتحوّلون)... كلّها عنيفة رغم اتصاف بعضها بالطابع الهزلي، في حين يتجلى في بعض القنوات عنف آخر، هو عنف اللغة، الناتج عن هجوم مقصود هدفه إلغاء اللغة العربية التي يفترض أن يكتسبها الطفل منذ الصغر.

ينبغي بعد الذي سبق أن نشير إلى ضرورة العناية ببرامج الأطفال، واختيار الأنسب لسنهم وثقافتهم مع التركيز على اللغة لأن "ما نتلقاه من وسائل الإعلام من برامج أو نصوص نرى أنه من الواجب أن يخضع لمراقبة لغوية تضبط نصوصها، حتى تخلو من الخطأ، وتتراءى بأسلوب ممتع لترقى اللغة بعد ذلك" (مناد، ٢٠٠٦: ٩١) خصوصاً في ظل ما نعرفه عن واقع القنوات العربية الموجهة للأطفال وكيف أنّ بعضها لا يلتفت أبدا للجانب اللغوي، بل نحسبه أحيانا يتعمد إعمال العامية، مع إقرارنا بصعوبة سرعة ضبط الأمر بسبب جنوح بعض الأقطار العربية إلى ترسيخ عاميتها إنتاجا ودبلجة، وهذا عين الخطأ لأنك تستطيع تدقيق البرامج التي قد تتضمن بعض الأخطاء اللغوية ولا سبيل في المقابل إلى تصحيح برامج لغتها الأساس عامية قُطر معيَّن.

٢ - راهن الأداء اللغوي في القنوات الفضائية الموجَّهة للأطفال في العالم العربي:

يلاحظ المهتم بالشأن الإعلامي اضطراد ظهور مختلف أشكال هذا الإعلام المسموع والمكتوب والمرئي والإلكتروني، العام والمتخصص، غير أنّ هذا

الاضطراد في تأسيس وسائل إعلام عربية جديدة يرسّخ في كلّ مرة غُربة اللغة العربية، فذلك الإعلام يتراخى في أغلب الأحيان "عن مسؤوليته تجاه اللغة العربية"، ففي الوقت الذي كنا نأمل أن ينهض برسالة توحيد العرب عبر لغتهم الفصحى، فيجعلها عاملاً قوياً في "إقامة الوحدة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وجدنا الإعلام قد تنكَّب عن الطريق السوي فتحوَّل إلى أداة للتباعد ومصدرا للنعرات والإحن وبث السموم" (منقور، ٢٠٠٦: ٨٢)، ولا تكاد المنابر الإعلامية المعتدلة في طرحها تُعدُّ على الأصابع.

وقد عرفت الساحة الإعلامية في العالم العربي خلال السنوات الأخيرة "ظهور قنوات عربية متَخَصِّصة من حيث المحتوى البرامجي والجمهور المستهدف، تتوجَّه للأطفال، والسمة الغالبة.. أنَّها من حيث الملكية قنوات خاصة.. تعتمد في برامجها على الرسوم المتحركة المدبلجة ونادراً من تَبث البرامج التي تتناول قضايا الطفولة العربية ومشكلاتها" (طرابلسي، ٢٠٠٩: ٩) في الوقت الذي يفترض أن يكون ذلك في صلب اهتماماتها.

يترتب عن عدم خدمة أغلب تلك القنوات للغة العربية بالإضافة إلى استيرادها لأغلب برامجها من شركات أجنبية، ضرورة الاحتياط في التعامل معها بل يجب عدم الثقة في القناة التي يشاهدها الأطفال فقط لأنها عربية لأن "المراقب لهذه القنوات يشاهد عبثية كبيرة في المواد التي تُقَدَّم للأطفال والناشئة وعلى نحو يَبُثُّ القيم الدخيلة وغير الملائمة لنا، مع أنّ الحريصين من أولياء الأمر يثقون أنّ أطفالهم بأمان طالما أنهم أمام شاشة عربية" (علواني، ٢٠٠٢: ١٦٧) دون التدقيق في ما تبثه هذه القناة من برامج قد تؤذي الأطفال أكثر من أن تفيدهم.

يعود السبب الرئيس في الدعوة إلى الاحتراس من بعض القنوات الموجهة للأطفال، وحتى التي تبث برامج الكبار، وغالباً ما يتابعها الأطفال، أنّ الساتل والشابكة ومختلف وسائل الإعلام الأخرى تغرق الطفل العربي في بحر من القيم الدخيلة الغريبة عنا، فلا هي من سلوكيات أُسرنا ولا هي من صنيع مدارسنا،

بل والأدهى من ذلك أنها غربية يبيِّتُ بعضها إلحاق الضرر بهويتنا وعلى الخصوص في ظل "عدم قدرة البث العربي على تقديم إنتاج وطني للأطفال، فـ: ٩٠٪ من البرامج المقدمة للأطفال أجنبية مترجمة أو مدبلجة، وتحمل بكل أسف كثيراً من القيم التي لا تناسب فكرنا وقيمنا، كما لا تناسب توجهاتنا القومية والحياتية" (عرابي، ٢٠٠٢: ١٢٧)، وأذكر هنا -للتدليل على غزو القيم الدخيلة لأبنائنا- أن مراهقا من الأقارب انقطع عن الدراسة وكان منذ الصغر عاشقا لكرة القدم مشاهدة ولعبا، وفي مرة شاهدته في مباراة مع أطفال القرية، وعندما سجل هدفاً قام بحركة بهلوانية ثم لمس الأرض واستقام ورسم إشارة التثليث (المسيحية) وقَبَّل إصبعه، فذهلت ونارديته لأستفسره، فقال إن لاعباً أجنبياً مشهوراً يفعل ذلك بعد كل هدف يُسَجِّله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يؤدي بنا ذلك إلى القول: "إنّ الإعلام الغربي مهما جنح إلى الموضوعية والصدق في عرض الأحداث، وتقديم برامج كيفما كانت مجالاتها وجدناه متصلاً أيُّما اتصال بمسألتي الهوية والثقافة في مجتمعه، فهما أساس المثل والقيم، أما عن الجانب العربي فنجد شبه عزوف عن ذلك في أغلب الأحيان، وهذا ما أدّى في كثير من الأحيان إلى تبني الإعلام الغربي تفكيراً وثقافة ولغة بل وعقيدة" (مناد، ٢٠٠٦: ٨٨) في بعض المنابر الإعلامية العربية.

ينتج عن ذلك اكتساب أطفالنا سلوكات غير التي ينبغي اكتسابها، بالإضافة إلى علاقة متذبذبة مع اللغة العربية الفصحى، دون الإشارة إلى الانحرافات الأخلاقية والدينية (فادن، ٢٠٠٥: ٤١)، وإننا نكاد نجزم أن نسبة كبيرة من هذا الارتباط وثيق الصلة بكل ما يتعرَّض له الطفل العربي منذ الولادة، ونعرف جميعاً أنّ الكثير من الرُضَّع في بعض الأسر يُمضون ساعات أمام التلفزيون إلى درجة إدمان البعض على المشاهدة. وفي هذا يؤسفني القول إنّ ابني أيام كان في الشهر (السابع والثامن) كان مدمناً وبشكل مخيف على قناة (طيور الجنة)، فكان كلما غيّرنا القناة شرع في بكاء هستيري إلى غاية ضبط جهاز الاستقبال على تردُّد بثِّها، ولم أتخلص من ذلك إلا بعد لأي.

إنّ القنوات الموجهة للطفل العربي كان يفترض بها خدمة اللغة العربية، عن طريق تقديم برامج تثقيفية ترفيهية ولكن و"على الرغم من التصاق الأطفال في العالم العربي بالكرتون شأنهم شأن بقية أطفال العالم، إلا أنّه من الملفت بشكل واضح غياب أي إنتاج عربي في هذا القطاع رغم جماهيريته الكبيرة" (بن عمر، ٢٠١٢: ١٢٧) وهو إن وُجد فإنّه يبقى ضحلاً مقارنة بحجم الإنتاج الأجنبي الذي تبثّه القنوات العربية.

وفي انتظار الإنتاج العربي المرجو تظل البرامج المستوردة خاصة الكرتون سلبية على أطفالنا "لأنها لا تعكس واقعنا ولا قيمنا ولا حتى تعاليم ديننا الإسلامي، فهي تأتي حاملة لقيم تلك البلاد التي أنتجتها، ومن ثمَّ تعكس ثقافتهم" (راشد، ٢٠٠٢: ٦٠) انطلاقاً من عدم إحساس مُنتِجها بتناقضها مع قيم مجتمعه، في حين أنها تضرب المجتمع العربي في صميمه.

- قناة سبيس تون Spacetoon:

تُعدُّ هذه القناة رائدة في الوطن العربي من حيث أقدميتها وتخصصها في برامج الرسوم المتحركة، "انطلق بث هذه القناة سنة ٢٠٠٠ ومثَّلت ظاهرة تلفزيونية استقطبت اهتمام الأطفال، وتتميَّز بطريقة توزيعها البرامجي على كواكب حسب تصنيفات البرامج وبالأساس منها الرسوم المتحركة" (طرابلسي، ٢٠٠٩: ١٠٩)، والقناة إذا تقدم كل برامجها باللغة العربية، تُفسد هذا الصنيع بعض الشيء لاعتمادها على الإنتاج الأجنبي بالإضافة إلى عنف بعض البرامج التي تختارها.

- قناة الجزيرة للأطفال (جيم):

لا نبالغ إذا اعتبرنا هذه القناة نموذجية للأطفال العرب، خاصة فيما تعلَّق باهتمامها باللغة العربية، فقط لو أنّ القائمين عليها يضاعفون الإنتاج المحلي ويخصصون مساحة برامج تعنى بالهوية العربية الإسلامية بصورة أكبر، وقد "انطلق بث قناة الجزيرة للأطفال في ٩ ديسمبر ٢٠٠٥.. من المدينة

التعليمية بالعاصمة القطرية الدوحة، وتهدف القناة إلى فتح الآفاق أمام الأطفال العرب وتعزيز تواصلهم مع البيئة العربية وما يحدث في أرجاء العالم،... وتُقدِّم الجزيرة باللغة العربية لتخاطب الأطفال العرب في الوطن العربي وفي أوربا" (طرابلسي، ٢٠٠٩: ١١٠/١١١) وهذه أبرز خصيصة للقناة.

- قناة طيور الجنة:

مالك القناة خالد مقداد، وتُقدِّم القناة "البرامج التربوية والعلمية والترفيهية والأناشيد التي تلائم الأطفال وجميع أفراد الأسرة، تهدف قناة طيور الجنة إلى تلبية احتياجات الطفل المسلم المختلفة" (بن عمر، ٢٠١٢: ١٢٧)، وقد نجحت حقيقة في ذلك غير أن عدم عنايتها باللغة في أغلب أغاني الأطفال والبرامج يعتبر أبرز سلبياتها، وسنناقش ذلك في المحطة المقبلة من هذا البحث.

- قناة كراميش:

تقدِّم قناة كراميش وهي قناة آمنة بالنسبة للأطفال، برامجها على مدار ٢٤ ساعة، وهي "قناة عربية أردنية مخصَّصة للأطفال تعرض برامج مختلفة لهم منها الأناشيد وبرامج النصائح الاجتماعية والدينية والألعاب والتسلية والترفيه بالإضافة إلى الأشغال اليدوية" (بن عمر، ٢٠١٢: ١٢٨) وقد افتتحت سنة ٢٠٠٩، غير أنّ أبرز ما يعاب عليها أنّ أغاني الأطفال وهي تشكل الحجم الأكبر من برامجها لا تقدَّم باللغة العربية في أغلبها حيث تؤدَّى بالعامية الأردنية.

- قناة MBC3:

أم بي سي ٣ "قناة عربية سعودية للناشئين تابعة لمجموعة مراكز تلفزيون الشرق الأوسط بدأت البث سنة ٢٠٠٤، من أهم برامجها المسلسلات الكرتونية وبعض الأغاني.. وكذا برنامج الدرب وهو برنامج ألعاب يجمع بين الفائدة والترفيه ويحظى بشعبية كبيرة" (بن عمر، ٢٠١٢: ١٢٧/١٢٨) غير أنّ بعض برامجها لا تصلح للأطفال لأنها تتضمن ما لا يتناسب وسنهم.

- **قناة كرتون نتوورك بالعربية CN:**

أطلقت القناة سنة ٢٠١٠ من دولة الإمارات العربية المتَّحدة، وهي مملوكة لشركة (ترنر برود كاستيج) التابعة للشركة الأم (تايم وارنر)، ورغم بثها باللغة العربية إلا أنّ برامجها عنيفة ولا تلائم ثقافتنا العربية إذ لا يصلح جلها لتنمية الذوق الجمالي للطفل، كون كل تلك البرامج أجنبية مدبلجة.

- **قناة دار القمر:**

برامج هذه القناة جميلة كونها من إنتاج القناة، وتعتمد في الأغاني ومختلف البرامج على رسوم جميلة ملائمة للأطفال واللغة المعتمدة هي العربية، والقناة تنزع منزعاً تعليمياً، وللأسف لم نجد تعريفا للقناة يُخبرنا عن مصدرها أو الجهة المالكة لها حيث لا يتضمن موقعها على شبكة المعلومات عن هذا الأمر.

- **قناة نون:**

قناة أردنية تبث رسوما متحركة هادفة والكثير من النصائح، غير أنّ التحاق بعض المنتمين سابقاً إلى قناة طيور الجنة جعل الكثير من الأغاني التي تبثها عامية اللغة.

- **قناة براعم:**

تابعة لقناة الجزيرة للأطفال "وهي موجهة للأطفال ما قبل المدرسة بين سن ٣ و٦ سنوات، تملكها مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع، ويغطي بث قناة براعم.. العالم العربي وأوربا" (عامر، ٢٠١٤: ٧٠)، وكل برامجها تبث باللغة العربية الفصحى.

ولا نغفل هنا الإشارة إلى قناة جرجرة للأطفال وهي قناة جزائرية خاصة، بالإضافة إلى القناة الأردنية التي تبثُّ من السعودية وهي قناة (كناري) وهي مملوكة لبعض المنشدين.

وسائل الإعلام بصفة عامة "يمكن أن تكون معلِّمة للغة العربية وناشرة لها فعلا، بإسهامها في إيجاد البيئة السماعية الملائمة، وقادرة على تنمية الملكة اللغوية لدى المتلقين، والإعلام إذا كان على المستوى المطلوب لغة وأداء وأسلوباً يصبح مدرسة لتعليم اللغة وتلقينها، لأنه مع استمرار الاستماع يتضح الأسلوب والطريقة في الذهن فتتولد المقدرة على المحاكاة، ويبدأ المتلقي في استخدام اللغة السليمة الفصيحة التي تلقاها، الأمر الذي يؤدي إلى الارتقاء بلغة الإعلام ذاته بسبب ارتقاء لغة الإعلام الذي يخاطبه" (زرادي، ٢٠٠٦: ١٢٨/١٢٧) أما إذا استمر الأمر على ما هو عليه في أغلب القنوات الموجهة للأطفال في العالم العربي فإننا نستمر في سماع أبنائنا يرددون ألفاظاً وتعبيرات مشوّهة لغوياً، وتخلط بين العامية والفصيحة، والوطنية والأجنبية. يقولون (شو بَدَّك، بدل ما بك؟ أو ماذا هناك) و(زغار) بدل (صغار) و(بليز) بدل (رجاء)، و(بابا ما عاد يكزب) و(يا بابا سناني واوا) و(بابا جابلي بلون)... والقائمة طويلة.

٣ - عرض آراء عيِّنة من المربين والآباء حول العلاقة بين لغة الطفل والقنوات الفضائية الموجَّهة له، وأثر ذلك على هويته العربية الإسلامية:

نحاول في المحطة الأخيرة من هذه المداخلة رصد آراء عيِّنة من المربين والآباء حول العلاقة بين أطفالهم والقنوات الفضائية المتخصِّصة في برامج الأطفال ومدى تأثير ذلك على لغتهم، وعلى الهوية لدى الناشئة عامة، ولكن قبل ذلك سنسجل بعض الإشارات المتعلقة بالمشهد اللغوي في الجزائر، وهو المشهد الذي يؤثر لا محالة على لغة الأطفال في مرحلتي الاكتساب والتعلم.

- الطفل وفوضى المشهد اللغوي في الجزائر:

يعيش المجتمع العربي عامة والمجتمع الجزائري جزءاً لا يتجزأ من إشكالية التعامل مع اللغة، خاصة في ظل انفصام اللسان العربي "إلى لغة فصحى يستعملها الخاصة في حالات خاصة، وإلى عاميات يستعملها الكافة والخاصة معاً، وفي كل الحالات إلا ما ندر" (منقور، ٢٠٠٦: ٨٠)، الأمر الذي ينعكس سلباً على العربية بالنظر إلى أن اللغة تتطلب الاستعمال، وإلا فإنها

تضعف وتفقد من معجمها ما يتحول إلى حوشي غير مستعمل، ويزداد المشكل حدَّة عندما نربطه بمسألتي اكتساب اللغة وتعلّمها، فالطفل -كما ذكرنا سابقاً- يكتسب اللغة التي يتعرّض لها، والأكيد أنه في العائلات الجزائرية لا يتعرّض للغة الفصحى.

إنّ المشهد اللغوي في الجزائر يجعلنا أمام "قضايا وإشكاليات عديدة ومتداخلة تتعلَّق في عمومها بالممارسات اللغوية ومظاهر التواصل اللغوي الاجتماعي، وهي من إفرازات وضعية التعدد والتنوع اللغويين، فالمحيط الاجتماعي الجزائري يعرف لغات ولهجات متعدِّدة (اللغة العربية الفصحى باعتبارها اللغة الرسمية واللهجات العامية الدارجة بمختلف أنواعها، واللغة الأمازيغية، أضف إلى ذلك اللغات الأجنبية كالفرنسية وغيرها من اللغات الأخرى" (بن يشو، ٢٠١٢: ٩٧)، وتزداد المشكلة تعقيداً ونحن نستقبل عديد العاميات من الأقطار العربية الأخرى، خاصة عن طريق القنوات الفضائية التي أصبح تعامل أغلبها مع الفصحى في المرتبة الثانية بعد العامية المحلية.

ويلخص الباحث عمار ساسي أثر الثنائية اللغوية على تعليم العربية في الآتي (ساسي، ٢٠٠٦: ٥٩):

- تحقق الفهم النظري وغياب الفاعلية التطبيقية، لعدم توافر التكامل بين المدرسة ومحيطها (الفصحى/العامية).
- عدم تحقق التحكم في اللغة أثناء الاستعمال لعدم وجود مناخ مناسب لذلك.
- تمرد العامية على الفصحى بالنظر إلى استعمال الأولى في التواصل اليومي وانحصار الثانية في المؤسسات الرسمية.
- تُفْقِد الثنائية اللغوية العربية جمالها وتبث الكثير من الأخطاء في أوساط المتعلمين.
- تفرز الثنائية اللغوية شعوراً لدى بعضهم بصعوبة اللغة الفصحى وتَعَقُّد نحوها.

وإذا أضفنا إلى مشكلة التعدد اللغوي، تغيُّر معايير التنشئة في الأسرة الجزائرية بفعل عوامل عدة مثل "خروج المرأة إلى ميدان العمل ودخولها ميدان التعليم، والانفتاح الإعلامي الواسع وأثر ذلك.. على تنشئة الطفل وعلى تماسك العلاقات الاجتماعية الأسرية" (بن عمر، ٢٠١٢: ٨٣) وجدنا أنه من الضروري العناية بأثر ذلك على اكتساب اللغة وتعلمها لدى الطفل.

وفي رسالة الدكتوراه التي أنجزتها سامية بن عمر بجامعة بسكرة وتحمل عنوان (تأثير البرامج التلفزيونية الموجَّهة للأطفال على التنشئة الأسرية في المجتمع الجزائري) لاحظت أن أطفال العينة التي اشتغلت عليها يشاهدون برامج الأطفال بنسبة ١٠٠٪ (بن عمر، ٢٠١٢: ٢٠١)، وهذه حقيقة نعيشها في أسرنا.

وفي بحثنا هذا اخترنا الاشتغال على آراء عيِّنة تتكون من نوعين: الأولياء (الآباء والأمهات)، والمشتغلون في حقل التربية والتعليم بمختلف أطواره.

- **حجم العيِّنة:**

  - فئة الأولياء ← ٨٠ شخصاً.
  - فئة المربين ← ٨٠ شخصاً.

  المجموع: ١٦٠ شخصاً.

- **مجتمع العينة:**

- **فئة الأولياء:** مجموعة من الآباء والأمهات بمستويات ثقافية مختلفة، حيث لا يتمتع بعضهم إلا بمستوى بسيط من الثقافة ورصيد متواضع من التعليم، بينما يمارس بعضهم التعليم في المستوى الأساس أو المتوسط أو الثانوي أو الجامعي، في حين يشتغل بعضهم في الإدارات أو الأعمال الحرة.
- **فئة المربين:** بعضهم من الأولياء، ويتوزعون كما سبق الذكر على مختلف مستويات التعليم (الأساسي، المتوسط، الثانوي، الجامعي).

وتتوزَّع العيِّنة التي اختيرت عشوائياً وبنسب مختلفة على المحافظات/ الولايات الجزائرية:

- سعيدة.
- سيدي بلعباس.
- تيارت.
- تيسمسيلت.
- النعامة.

وتختلف الأسئلة الموجهة إلى كل فئة نظراً لاختلاف طريقة كل منها في التعامل مع الطفل.

أ - نموذج الاستبيان الموجه للمربين:

استبانة (١) موجهة للمربين

- هل تخشى من الفضائيات على الأخلاق والسلوكات لدى الناشئة؟

نعم		لا		لا أدري أحياناً	

- هل تراعي القنوات الفضائية الموجهة للناشئة القيم والعادات العربية الإسلامية؟

نعم		لا		لا أدري أحياناً	

- هل تؤيدون مشروع قنوات فضائية إسلامية موجهة للأطفال؟

نعم		لا	

- هل تفضلون البرامج الموجهة للناشئة باللغة الفصحى أم بالعاميات المحلية؟

الفصحى		العامية		كلاهما لا أدري	

ماهو مبررك لهذا الاختيار؟

. . . . . .

- هل ترون تفاعلاً على مستوى البرامج الكرتونية مع واقع عالمنا العربي المعيش؟

نعم		لا		لا أدري أحيانا	

- هل أنتم راضون عن مضامين البرامج الكرتونية الموجهة للأطفال؟

نعم		لا		لا أدري أحيانا	

١ - هل تخشى من الفضائيات على الأخلاق والسلوكيات لدى الناشئة ؟

	نعم	لا	أحياناً	المجموع
التكرار	٦٦	٠١	١٣	٨٠
النسبة	٨٢,٥٪	٠١,٢٥٪	١٦,٥٪	١٠٠٪

يتضح من خلال الجدول السابق أن ٨٢,٥٪ من المربين الذين شملتهم الدراسة يخشون من الفضائيات على الأخلاق والسلوكات لدى الناشئة في حين أن قلة لا تخشى ذلك بنسبة ٠١,٢٥٪، وبلغت نسبة المربين الذين يخشون ذلك أحياناً ١٦,٥٪، ويؤشر ذلك على خوف حقيقي من الانفتاح الإعلامي خاصة في ظل سيطرة القطاع الخاص على فضاء السمعي البصري في مختلف الدول العربية ناهيك عن القنوات الأجنبية.

٢ - هل تراعي القنوات الفضائية الموجهة للناشئة القيم والعادات العربية الإسلامية؟

	نعم	لا	أحياناً	المجموع
التكرار	١٠	١٢	٥٨	٨٠
النسبة	١٢,٥٪	١٥٪	٧٢,٥٪	١٠٠٪

يبيِّن الجدول الثاني أنّ ١٢,٥٪ من المربين يعتقدون فعلاً أن القنوات الموجهة للناشئة تراعي القيم والعادات العربية الإسلامية أما ١٥٪ منهم فيعتقدون عكس ذلك، وصرَّح ٧٢,٥٪ من أفراد العيِّنة أن تلك القنوات تراعي ذلك أحياناً.

٣ - **هل تؤيدون مشروع قنوات فضائية إسلامية موجَّهة للأطفال؟**

	نعم	لا	المجموع
التكرار	٧٨	٠٢	٨٠
النسبة	٪٩٧،٥	٪٢،٥	٪١٠٠

نلاحظ استناداً إلى الجدول الأخير أنَّ ٩٧,٥٪ من أفراد العيِّنة يؤيدون مشروع قنوات إسلامية موجَّهة للأطفال، أما ٢,٥٪ منهم فأجابوا عن السؤال بـ: لا.

٤ - **هل تفضلون برامج الناشئة بالفصحى أم بالعامية أم بهما معا؟**

	الفصحى	العامية	كلاهما	المجموع
التكرار	٥٥	٠٠	٢٥	٨٠
النسبة	٪٦٥،٧٥	٪٠٠	٪٣١،٢٥	٪١٠٠

يفضل أفراد العينة أن تكون برامج الناشئة بالفصحى، ويرى ٣١,٢٥٪ منهم أنّ الأحسن أن تكون البرامج بهما معاً (الفصحى والعامية) في حين انعدمت نسبة من يفضلون تلك البرامج بالعامية، ونحن إذ نثمن رأي الذين فضلوا الفصحى نستهجن رأي المربين الذين قالوا بالمزاوجة بين الفصحى والعامية في برامج الناشئة خاصة وهم يعلمون أن العامية متاحة في الشارع عكس اللغة العربية.

٥ - **ما مبرِّرك لهذا الاختيار؟**

برَّر الذين يفضلون برامج الأطفال بالعربية الفصحى اختيارهم بأنها لغة القرآن ولغة أهل الجنة وإحدى أبرز مقومات الهوية العربية بالإضافة إلى ضرورة أن تكون البرامج بالفصحى لأنها تُكسِب الطفل رصيداً لغوياً يساعده لحظة الالتحاق بالمدرسة وهذا أهمُّ ما حرَّك بحثنا هذا.

أمَّا الذين قالوا بالمزاوجة بين الفصحى والعامية فاحتجوا بأهمية ذلك لينسجم الطفل مع مجتمعه، والحقيقة أننا نرفض هذا الطرح جملة وتفصيلاً.

٦ - **هل ترون تفاعلا على مستوى البرامج الكرتونية مع واقع عالمنا العربي المعيش؟**

	نعم	لا	أحياناً	المجموع
التكرار	٠٩	٣٨	٣٣	٨٠
النسبة	٪١١,٢٥	٪٤٧,٥٠	٪٤١,٢٥	٪١٠٠

يرى أغلب المربين الذي استهدفتهم الدراسة أنّ البرامج الكرتونية لا تتفاعل مع معيش الأمة العربية بنسبة ٤٧,٥٪، أما من يرون تفاعلاً بين البرامج والواقع العربي فنسبتهم ٤١,٢٥٪، وبلغت نسبة الذين أجابوا بأنّ برامج الكرتون تتفاعل مع ذلك الواقع فبلغت ١١,٢٥٪.

٧ - **هل أنتم راضون عن مضامين البرامج الكرتونية الموجَّهة للأطفال؟**

	نعم	لا	أحياناً	المجموع
التكرار	٠٦	٥٤	٢٠	٨٠
النسبة	٪٠٧,٥	٪٦٧,٥	٪٢٥	٪١٠٠

سجل ٧,٥٪ من المربين رضاهم عن الكرتون الموجه للأطفال، وقال ٢٥٪ من أفراد العيِّنة أنهم يقابلون مضامين تلك البرامج بالقبول أحياناً، أما ٦٧,٥٪ فقالوا إن برامج الكرتون لا ترضيهم، وفي هذا الأمر مفارقة إذا سجل الأولياء في الاستبيان الخاص بهم تفضيل أبنائهم للبرامج الكرتونية بنسبة ٨٨,٧٥٪.

ب - نموذج الاستبيان الموجه للأولياء:

استبانة (٢) موجهة للأولياء

- كيف ترون مدى تأثير القنوات الفضائية على سلوكيات أفراد أسرتكم؟

عالي		متوسط		تحت المتوسط	

- هل ترشدون أفراد أسرتكم لكيفية استثمار التعاطي مع الفضائيات كي تسهم إيجابيا في سلوكياتهم؟

نعم		أحياناً		لا	

- **ما هي نسبة استغلال الفضائيات بالنسبة لأطفالكم دون ١٥ سنة مقارنة بكل أفراد الأسرة ؟**

أقل من ٤٠٪		حوالي ٥٠٪		أكثر من ٧٠٪	

- **ما هي النسبة الزمنية المتاحة لأطفالكم دون ١٢ سنة لمشاهدة التلفزيون مقارنة بالكبار؟**

دون ٥٠٪		أكثر من ٥٠٪	

- **ما هي البرامج المفضلة لدى أطفالكم دون ١٢ سنة؟**

التعليمية		الوثائقية		الكرتونية	

- **ما هي القناة التي يفضلها أطفالكم من بين القنوات الآتية؟**

طيور الجنة	
سبيستون	
براعم	
الجزيرة للأطفال	
جرجرة	
كرتون نتوورك بالعربية	
أجيال	
MBC3	

- **على أي أساس تفضلون قنوات بعينها؟**

اللغة		المضمون		التسلية	

- **ما القناة التي تراها كافية شافية بالنسبة للناشئة العربية من حيث الآداء اللغوي الفصيح ومن حيث حفاظها على الهوية العربية الإسلامية؟**

.....	.....	.....

١ - **كيف ترون مدى تأثير القنوات الفضائية على سلوكيات أفراد أسرتكم؟**

	عالي	متوسط	تحت المتوسط	المجموع
التكرار	٣٦	٣٣	١١	٨٠
النسبة	٤٥٪	٤١,٢٥٪	١٣,٧٥٪	١٠٠٪

يتضح من خلال هذا الجدول أن أكبر نسبة سجلت في خانة التأثير العالي للقنوات على سلوكيات أفراد الأسرة ٤٥٪، في حين قال ٤١,٢٥٪ من الأولياء إنه تأثير متوسط، أما ١٣,٧٥٪ فقالوا إنه تحت المتوسط، وقد لاحظنا أنه كلما ارتفع المستوى العلمي للآباء والأمهات قل تأثير القنوات الفضائية على سلوكيات أفراد الأسرة استناداً إلى ما قال به أفراد العينة.

٢ - **هل ترشدون أفراد أسرتكم لكيفية استثمار التعاطي مع الفضائيات كي تسهم إيجابياً في سلوكياتهم؟**

	نعم	أحياناً	لا	المجموع
التكرار	٣٤	٣٧	٠٩	٨٠
النسبة	٤٢,٥٪	٤٦,٢٥٪	١١,٢٥٪	١٠٠٪

نلاحظ أن أغلب الأولياء يرشدون أفراد أسرهم لكيفية التعاطي مع القنوات الفضائية بنسبة ٤٥,٥٪ بصورة قطعية، و٤٦,٢٥٪ أحياناً، أما ١١,٢٥٪ من أفراد العينة فلا يفعلون ذلك.

٣ - **ما هي نسبة استغلال الفضائيات بالنسبة لأطفالكم دون ١٥ سنة مقارنة بكل أفراد الأسرة؟**

	أقل من ٤٠٪	حوالي ٥٠٪	أكثر من ٧٠٪	المجموع
التكرار	٢٦	٣٢	٢٢	٨٠
النسبة	٣٢,٥٪	٤٠٪	٢٧,٥٪	١٠٠٪

قال ٣٢,٥٪ من أفراد العينة إن أطفالهم (أقل من ١٥ سنة) يتابعون الفضائيات بنسبة تقل عن ٤٠٪ مقارنة بكل أفراد الأسرة ويستغلها ٤٠٪ من أطفالهم بنسبة حوالي ٥٠٪، أما ٢٧,٥٪ منهم فيستغلون الفضائيات بنسبة ٧٠٪.

٤ - ما هي النسبة الزمنية المتاحة لأطفالكم دون ١٢ سنة لمشاهدة التلفزيون مقارنة بالكبار ؟

	دون ٥٠٪	أكثر من ٥٠٪	المجموع
التكرار	٥٢	٢٨	٨٠
النسبة	٦٥٪	٣٥٪	١٠٠٪

صرح أفراد العينة أن النسبة الزمنية المتاحة لأطفالهم دون ١٢ سنة لمشاهدة التلفزيون مقارنة بالكبار تقل عن ٥٠٪ بنسبة ٦٥٪، أما ٣٥٪ منهم فقالوا إنها تتجاوز ٥٠٪.

٥ - ما هي البرامج المفضلة لدى أطفالكم دون ١٢ سنة؟

	التعليمية	الوثائقية	الكرتونية	المجموع
التكرار	٠٧	٠٢	٧١	٨٠
النسبة	٠٨,٧٥٪	٠٢,٥٪	٨٨,٧٥٪	١٠٠٪

تؤكد النتائج الواردة في هذا الجدول الطرح الذي سبق وأشرنا إليه في ثنايا البحث، حيث بلغت نسبة الأولياء الذين قالوا إن أطفالهم يفضلون البرامج الكرتونية ٨٨,٧٥٪، أما ٠٨,٧٥٪ فيفضل أطفالهم البرامج التعليمية ويفضل ٠٢,٥٪ البرامج الوثائقية، ويؤكد كل هذا ولع الأطفال بالبرامج الكرتونية ما يتطلب إنتاجها محليا لتقدم بلغة فصحى ولتحمل قيمنا وعاداتنا.

٦ - ما هي القناة التي يفضلها أطفالكم من بين القنوات الآتية؟

	التكرار	النسبة
طيور الجنة	٢٠	٢٥٪
سبيستون	١٢	١٥٪
براعم	٠٩	١١,٢٥٪
الجزيرة للأطفال	٠٥	٠٦,٢٥٪
جرجرة	٠٢	٠٢,٥٪
كرتون نتوورك بالعربية	١٠	١٢,٥٪
أجيال	٠٢	٠٢,٥٪

MBC3	٢٠	٪٢٥
المجموع	٨٠	٪١٠٠

احتلت قناة طيور الجنة المرتبة الأولى رفقة قناة MBC3 بنسبة ٢٥٪ لكل منهما وحلت سبيستون ثانية بـ ١٥٪، وكارتون نتوورك بالعربية ثالثة بنسبة ١٢,٥٪، أما المرتبة الرابعة فعادت لقناة براعم بنسبة ١١,٢٥٪، ثم قناة الجزيرة للأطفال بنسبة ٠٦,٢٥٪، تلتها في المرتبة الأخيرة قناة جرجرة وأجيال بـ ٢٪ لكل منهما.

٧ - على أي أساس تفضلون قنوات بعينها ؟

	اللغة الفصحى	المضمون	التسلية	المجموع
التكرار	١٠	٢٥	٤٥	٨٠
النسبة	٪١٢,٥	٪٣١,٢٥	٪٥٦,٢٥	٪١٠٠

نستنتج من خلال الجدول أن أغلبية الأولياء الذين استهدفتهم الدراسة يعتبرون التلفزيون جليس أطفال بصرف النظر عن أثر ذلك على أطفالهم فـ٥٦,٢٥٪ قالوا إن معيار تفضيل قناة بغيرها هو التسلية، وقال ٣١,٢٥٪ إنهم يعتمدون معيار المضمون وحلّت اللغة الفصحى في ذيل الاهتمام بـ ١٢,٥٪.

٨ - ما القناة التي تراها كافية شافية بالنسبة للناشئة العربية من حيث الأداء اللغوي الفصيح ومن حيث حفاظها على الهوية العربية الإسلامية ؟

	التكرار	النسبة
طيور الجنة	٢٤	٪٣٠
براعم	٢٢	٪٢٧,٥
الجزيرة للأطفال	١٠	٪١٢,٥
كرتون نتوورك بالعربية	٠٦	٪٠٧,٥
أجيال	١٠	٪١٢,٥
لا يوجد	٠٨	٪١٠
المجموع	٨٠	٪١٠٠

يرى أغلب أفراد العينة أن القناة الكافية الشافية من حيث الأداء اللغوي

الفصيح ومن حيث الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية هي طيور الجنة بنسبة ٣٠٪، ثم براعم بنسبة ٢٧,٥٪، واختار ١٢,٥٪ قناة الجزيرة للأطفال في حين أن ٧,٥٪ يفضلون كرتون نتوورك، و١٢,٥٪ اختاروا قناة أجيال أما ١٠٪ فقالوا إن قناة بهذه المواصفات غير متوافرة إلى الآن.

خلاصة البحث (نتائج وتوصيات):

خَلصنا بعد إجراء هذه الدراسة إلى تسجيل جملة من النتائج والتوصيات نورد بعضها في الآتي:

- تكتسي عملية اكتساب الطفل اللغة أهمية قصوى، لأنها تنعكس على ثقافته وهويته في المراحل العمرية اللاحقة.

- أدّى تطور وسائل الإعلام، وتغيّر الثقافة الأسرية وانفتاح المجتمع العربي على ثقافات مختلف الشعوب إلى تغيّر في روافد التنشئة الجمالية للطفل العربي، ما يدعو بحق إلى ضرورة فحص تلك الروافد وتهذيب بعضها ضماناً لعدم خرقها للمنظومة المجتمعية والهوياتية العربية.

- يظهر مزيد من القنوات الفضائية المتخصصة خاصة تلك الموجّهة إلى الطفل العربي حصرا، مع ملاحظة أنّ جلّ تلك القنوات لا تبث باللغة العربية، بل بعاميات قُطرية، تزيد لا محالة من ضعف تواصل الطفل العربي مع لغة أمّته، ناهيك عن خرق بعضها لمواضعات التربية الجمالية للطفل، خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة ومرحلة ما قبل التمدرس بعامة، مع علمنا أنّ الطفل في تلك المرحلة خصوصا يعاني من غياب مناعة تمكّنه من غربلة ما يتعرض له من أداءات لغوية وثقافية.

- تتخلى عديد الأسر في مجتمعنا العربي - إن لم نقل جلّها - خاصة في المدن الكبرى عن تربية أطفالها لصالح هيئات أو وسائل أو أفراد، مع ما يتبع ذلك من ترهل في العلاقات الأسرية التي كانت الرابط الأساس لمجتمعاتنا.

- يقر العديد من الأولياء بتقصيرهم تجاه أطفالهم، ويَرُدُّن ذلك إلى عدم توفّر سبل العيش الكريم، غير أن ذلك لا يمنحهم الحجة لترك أبنائهم عرضة لاختراق لغوي وثقافي تنعكس نتائجه لاحقاً على الأفراد والجماعات.
- وافق أغلب أفراد العيّنة على ضرورة أن تتبنى الدول العربية استراتيجية إنتاج برامج محلية تحصن الثقافة العربية، وتربط في الوقت نفسه علاقات متينة بالثقافة الإنسانية في بُعديها التواصلي الذي يغذيه الحوار والتسامح، ونبذ العنف بكل مظاهره.
- لابد من إجراء بحوث مشابهة تمس مختلف الأقطار العربية بغية الخروج بنتائج تحوز قسطاً وافراً من القبول وترسم واقع تفاعل الأسر العربية مع موضوع الهوية اللغوية والثقافية للطفل العربي.
- نقترح تفعيل المنظمات العربية المهتمة بالشأن اللغوي والثقافي وتزويدها بمختلف البحوث الميدانية في العالم من أجل استثمار عملها وتحقيق الأمن اللغوي والثقافي الهوياتي، الذي نعتقده أهم نوع من الأمن يمكن أن تصبو إليه أمة من الأمم في ظل راهن العولمة وانفتاح المجتمعات غير المحصنة ثقافياً على مستجدات العالم وتطوّر الميديا.

Arabic Language and Identity in TV Programs Directed to Children: A Theoretical Approach and a Field Study

Dr. Faid Mohammed
University Center of Tissemitt
Algeria

Abstract

Most of the changes identified by Arab societies over the last sixty years (1950-2010), in various fields (political, cultural and social), have a significant impact on Arab family life. Education has changed. The family has moved to deal with Quranic school (alkutab), and traditional means of education, storyboards and other methods, It has led to a completely different situation, especially with the development of means of communication (Intranet, social networking sites, different generations of mobile telephony, satellite chains) these were difficult for the child to be with it. It became necessary to look for mechanisms that will raise the scientific and cultural level of child, without prejudice to Arab identity, because access to such a result requires special attention for the child to receive information in Arabic and other languages of the world. The main purpose of this intervention is to highlight how the satellite channels for the children of the Arab world deal with the Arabic language. The fact that the Arab community in general and the Arab children, especially, giving reading in favor of television, which is difficult to control by the family. Parents may notice the breakdown of language balance and cultural different satellite channels their children are following, especially in pre-school education.

المراجع

١ - بن عمر، سامية (٢٠١٢/٢٠١٣). تأثير البرامج التلفزيونية الموجهة للأطفال على التنشئة الأسرية في المجتمع الجزائري، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بسكرة، الجزائر.

٢ - ابن يشو، جيلالي (٢٠١٢). الوضع اللغوي في الجزائر بين الازدواج والتعدد. **مجلة المعيار**، ٥، ٩٧-١١١.

٣ - بودربالة، أحمد (٢٠٠٦). أهمية استخدام تكنولوجيا الإعلام في العملية التعليمية. **مجلة منتدى الأستاذ**، ٢، ٢٩-٤٨.

٤ - بيرغر، آرثر آسا (٢٠١٢). **وسائل الإعلام والمجتمع (وجهة نظر نقدية)**. (ترجمة صالح خليل أبو إصبع)، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، رقم: ٣٨٦، (العمل الأصلي نشر في عام ٢٠٠٧).

٥ - خديش، صالح (٢٠١٢). مسألة التعليمية في الجزائر بين وعي المناهج اللسانية ولا وعي الاكتساب اللغوي. **مجلة منتدى الأستاذ**، ١٢، ٠١-٢٤.

٦ - الخطيب، حسام (١٩٨٣). **الثقافة والتربية في خط المواجهة**، سوريا، منشورات وزارة الثقافة.

٧ - الدويبي، عبد السلام بشير (٢٠٠١). ثقافة الطفل العربي، (الأبعاد المأزمية والجهود العربية). **مجلة الطفولة والتنمية**، ٤، ١٠٧-١١٩.

٨ - الراجحي، عبده (د.ت). **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية**. مصر، (الإسكندرية)، دار المعرفة الجامعية.

٩ - راشد، لولوه (٢٠٠٢). تأثير الرسوم المتحركة المستوردة على الطفل القطري. **مجلة الطفولة والتنمية**، ٧، ٥٩-٨١.

١٠ - ريان آيات، (٢٠٠١). التربية الجمالية للطفل، **مجلة الطفولة والتنمية**. المجلس العربي للطفولة والتنمية، ٤، ١٨١-١٩٣.

١١- زرادي، نور الدين (٢٠٠٦). أثر وسائل الإعلام في تنمية الملكة اللغوية. **مجلة اللغة والاتصال**، ٣، ١٠٩-١٢٨.

١٢- ساسي، عمار (٢٠٠٦). الثنائية اللغوية للعربية ومشكلة الفصحى والعامية وأثرها في تعلم وتعليم العربية، **مجلة اللغة والاتصال**، ٣، ٤٩-٧٦.

١٣- سالمين، مبارك (٢٠٠٢). الخصائص النفسية والسلوكية لأطفال ما قبل المدرسة. **مجلة الطفولة والتنمية**، مصر، ٦، ١٩٥-٢٠٥.

١٤- طبجون، رابح (٢٠٠٦). ثقافة الطفل وقيمه، من خلال كتاب النصوص الأدبية للسنة الأولى متوسط، **مجلة منتدى الأستاذ**، ٢، ٠٩-٢٨.

١٥- طرابلسي، آمنة (٢٠٠٩/٢٠١٠). إعلانات القنوات العربية المتخصصة في برامج الأطفال (دراسة وصفية تحليلية). رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، جامعة قسنطينة.

١٦- عامر، دليلة (٢٠١٤). قناة براعم بين تربية الطفل وعولمة القيم الغربية. **مجلة فكر ومجتمع**، ٢١، ٦٥-٨٢.

١٧- عرابي، بلال (٢٠٠٢). قضايا في إعلام الطفولة. **مجلة الطفولة والتنمية**، ٦، ١٢٣-١٤٧.

١٨- علواني، عبد الواحد (٢٠٠٢). أطفالنا في ظل العولمة. **مجلة الطفولة والتنمية**، ٢، ١٦٥-١٧٢.

١٩- الغريب، عبد الرحمن (٢٠٠٢). إشكالية الهوية بين الإعلام التلفزي والتنشئة الأسرية للطفل العربي، **مجلة الطفولة والتنمية**، ٢، ١٢٩-١٤٧.

٢٠- فادن، كوثر (٢٠٠٥). مناهج التعليم في ظل العولمة ومتغيرات أخرى. **مجلة منتدى الأستاذ**، الجزائر (قسنطينة)، ١، ٤٠-٦٢.

٢١- مدكور، وآخرون (١٩٧٥). **معجم العلوم الاجتماعية**، مصر، (القاهرة) الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢- مناد، إبراهيم (٢٠٠٦). اللغة العربية ووسائل الاتصال قراءة في السلبيات والإيجابيات. **مجلة اللغة والاتصال**، ٣، ٨٣-٩٢.

٢٣- منقور، ميلود عبيد (٢٠٠٦). أثر وسائل الاتصال في اللغة العربية وطرائق اكتسابها. **مجلة اللغة والاتصال**، الجزائر، (وهران)، ٣، ٧٧-٨٢.

٢٤- الهيتي، هادي نعمان (٢٠٠٢). الهوية الثقافية للأطفال العرب إزاء ثقافة العولمة. **مجلة الطفولة والتنمية**، ٢، ١٤٩-١٦٣.

٢٥- الأمير، وعد (٢٠٠١). التلفزيون واكتساب السلوك العدواني. **مجلة الطفولة والتنمية**، ٤، ١٩٥-٢٠٠.